سلسلة دراسات وبحوث إسلامية

اليوم الآخر في القرآن والسنة

تأليف

الدكتور: أحمد جابر بدران

مدير مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

وخبير اقتصاد مركز صالح عبد الله كامل

جامعة الأزهر

الفهرس العام

المبحث الثامن: الحساب .

- تعريفه

- تولى الله الحساب يوم القيامة

- نفي قيام الرسول بمحاسبة الخلق يوم القيامة .

- كيفية الحساب .

- أهم العناصر التي يدور حولها العذاب يوم القيامة.

المبحث التاسع: الصراط

- تعريفه .

- أدلة ثبوته .

المبحث العاشر: الميزان .

- كيفية الميزان .

- من توزن أعمالهم .

- فائدة الميزان .

المبحث الحادي عشر: الحوض .

- أدلة ثبوته .

- الاختلاف في تحديد مكانه .

المبحث الثاني عشر: الشفاعة .

- تعريفها .

- أدلة ثبوتها .

- نوعا الشفاعة .

المبحث الثالث عشر: الجنة .

- عدد الجنة ودرجاتها .

المبحث الأول: المقصود باليوم الآخر

اليوم الآخر في الإسلام له إطلاقان :

الإطلاق الأول: يوم القيامة الذي تنتهي فيه الدنيا وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات .وهذا الرأي ذهب إليه جماعة من العلماء والمفسرين. يقول الإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى {وبالآخرة هم يوقنون}([١]):" سميت آخرة لتأخرها عن الخلق كما سميت الدنيا دنيا لدونها من الخلق ".

ويفهم من تفسير الطبري أن المراد بالآخرة يوم القيامة وما فيه من عجائب وغرائب، وأما الذي وصف الله جل ثناؤه به المؤمنين بما أنزل إلى نبيه محمدﷺ وما أنزل من قبله من المرسلين من إيقانهم به من أمر الآخرة فهو إيقانهم بما كان المشركون به جاحدين من البعث والنشور والثواب والعقاب والحساب والميزان وغير ذلك مما أعد الله لخلقه يوم القيامة([٢]) .

وينقل ابن عباس تفسيره لقوله تعالى {وبالآخرة هم يوقنون} أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، أي لا هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك ويكفرون بما جاءك من ربك([٣]) .

والإمام الفخر الرازي عند تفسيره لقوله تعالى {ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر}([٤]) يقول:

([١]) البقرة : ٤ .

([٢]) الطبري : ١/٢٤٥ – تحقيق محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر، دار المعارف ط الثانية.

([٣]) السابق ٢٤٦ .

([٤]) البقرة : ٨ .

السؤال الثالث: ما المراد باليوم الآخر؟ الجواب: يجـــوز أن يراد به الوقت الممدد الذي لا حد له، وهو الأبد النائم الذي لا ينقطع له أمد، ويجوز أن يراد به الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، لأنه آخر الأوقات المحدودة وما بعده فلا حد له([1]).

والإمام البيجوري يقول: واليوم الآخر هو يوم القيامة، وأوله من وقت الحشر إلى ما لا يتنناهى على الصحيح، وقيـــل: إلـــى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النارِ النار([2]).

وهذا هو الإطلاق الأول الذي ذهب إليـــه جماعـــة مـــن العلمـــاء والمفسرين واليوم الآخر بهذا الإطلاق له أسماء كثيرة فلـــه نحـــو ثلاثمائة اسم، وهو يحتل تلك المرتبة العليا بعد الإيمان بالله إلى حد أننا قلما نجد سورة في التنـــزيل إلا وللبعث واليوم الآخر فيها سهم وأي سهم .

(1) تفسير الفخر الرازي ٢/٦١ ، ٦٢ .

(2) تحقيق تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للإمام البيجوري ص٢٢٠ ، طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية .

الإطلاق الثاني:

يذهب بعض العلماء إلى أن اليوم الآخر يبدأ بالموت بالنسبة للإنسان، ويستدلون بقول الرسولﷺ "إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه"([1]) .

ويقول الإمام ابن كثير في بعض الأحاديث أنه عليه السلام سئل عن الساعة فنظر إلى غلام فقال "لن يدرك هذا الهرم حتى تأتيكم الساعة"([2]).

ويشرح ابن كثير هذا الحديث بقوله: والمراد انحراف قرنهم ودخولهم في عالم الآخرة فإن كل من مات فقد دخل في حكم الآخرة([3]) .

ولا يتبادر إلى الأذهان أن المقصود بقول الرسول: "حتى تأتيكم ساعتكم" اليوم الآخر على الإطلاق الأول الذي عرضناه، لأن الساعة بهذا المعنى لا يعلمها إلا الله . يقول ابن كثير: فأما الساعة العظمى وهي وقت اجتماع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فهذا مما استأثر الله تعالى بعلم وقته([4]).

([1]) السابق وانظر: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ٢٩٥٩/١٦ طبعة دار الشعب .

([2]) الترمذي ٦٧٧/٤ طبعة مصطفى الحلبي .

([3]) النهاية في الفتن والملاحم ٣١/١ لابن كثير، الناشر دار التراث ، والحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه .

([4]) النهاية في الفتن والملاحم ٣١/١ .

المبحث الثاني: الموت

حقيقة الموت:

إن الموت حقيقة واقعة يراها البشر جميعاً أمامهم، تختلف أسبابه، ولكن حقيقته واحدة وهي انقطاع الإنسان عن الحياة الدنيا وانتقاله إلى عالم آخر غير العالم الذي كان يعيش فيه، ويعرفه العلماء بتعريفات كثيرة([1]) تدور حول انقطاع تعلق الروح بالبدن فيذكر القطبي تعريف العلماء له بأنه "ليس بعدم ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته والحيلولة بينهما"([2]) .

وورد في التعريفات للسيد الجرجاني تعريف الموت بأنه: "صفة وجودية خلقت ضدا للحياة"([3]).

ويعرفه ابن مسكويه بأنه:" ليس بشيء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الأعضاء التي يسمى مجموعها بدنا كما يترك الصانع آلاته"([4]) .

ويربط الإمام الجويني بين تعلق الروح بالبدن وبين الحياة ومفارقة الروح للبدن وبين الموت فيقول:"والأظهر عندنا أن الروح أجسام لطيفة متشابكة للأجسام المحسوسة أجرى الله تعالى العادة

([1]) يذهب البعض إلى تعريف الموت بأنه إماتة الشهوات ويسمون ذلك الموت الإرادي أو الموت الروحي، ولما كان غرضنا من البحث الحديث عن الموت بمعناه البدني رأينا الاقتصار على التعريفات التي تتحدث عن الموت بمعناه المتعارف عليه لدى الجميع وهو مفارقة الإنسان للحياة. انظر: التعريفات للسيد ص٢١١ ، تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص١٧٧ ، المعجم الفلسفي ٤٤١/٢ ، ٤٤٢ .

([2]) التذكرة بأحوال الموتى والآخرة ١/١ للإمام القرطبي. تحقيق الدكتور/ أحمد حجازي – الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠م .

([3]) التعريفات للسيد الجرجاني ص٢١١ الناشر البابي الحلبي ١٩٣٨ .

([4]) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص١٧٥ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .

باستمرار حياة الأجسام ما استمرت حياة الأجسام متشابكة لها فـإذا فارقتها يعقب الموت الحياة"([1]) .

وكل هذه التعريفات تجمع على أن الموت هو توقف الحياة عن الإنسان في الدنيا. ولما كان هناك وجه شبه بين النوم والموت يحسن بنا أن نشير إلى الفرق بين ظاهرة النوم والموت .

يقول الله تعالى {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لأيات لقوم يتفكرون}([2]) والمقصود بالآية والله اعلم: إن الله تعالى يتوفى الأنفس عند النوم إلا أنه يمسك الأنفس التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى لحين موتها .

أما الموت هل يقع على البدن أم على النفس بمعنى الروح ؟

فإن العلماء مختلفون في ذلك يقول ابن العز في شرح العقيدة الطحاوية: اختلف الناس هل تموت الروح في النفس أم لا؟ فقالت طائفة: تموت؛ لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت وقد قال تعالى {كل من عليها فان* ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}([3]) قال تعالى {كل شيء هالك إلا وجه}([4]) .

قالوا: إذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت، وقال آخرون: لا تموت الأرواح فإنها خلقت للبقاء وإنما

([1]) الإرشاد للإمام الجويني ص٣٧٧ تحقيق د محمد يوسف موسى ، عبد المنعم على الناشر – مكتبة الخانجي ١٩٥٠ .

([2]) الزمر : ٤٢ .

([3]) الرحمن: ٢٦ ، ٢٧ .

([4]) القصص : ٨٨ .

تموت الأبدان ، قالوا: وقد دلت الأحاديث الدالة على نعـيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولـو ماتـت الأرواح لا نقطع عنها النعيم والعذاب([1]) .

ونذكر هنا عدة حقائق قد ركز عليها القرآن الكريم بالنـسبة للموت منها:

أولاً: أن الموت عام لكل البشر: يقول تعالى {نحـن قـدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين* على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون}([2]) ويقول تعالى {أينما تكونوا يدرككم المـوت ولـو كنتم في بروج مشيدة}([3]) وهذه الآيـة تعنـى أن النـاس جميعـاً صائرون إلى الموت لا محالة ولا ينجوا منه أحد كائنا مـن كـان، حتى رسول الله ﷺ فقد قال الله تعالى {وما جعلنا لبشر مـن قبلـك الخلد أفإن مت فهم الخالدون}([4]) .

ثانياً: الموت والحياة بأمر الله وحده: يقرر القرآن الكريم أن الموت لا يقع إلا بأمر الله تعـالى {والله يحيـي ويميـت والله بمـا تعملون بصير}([5]) .

ثالثاً: أن لكل نفس أجل معلوم: يقول الله تعالى {فـإذا جـاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون}([6]) وأن الأجل المقدر لكل

([1]) من هؤلاء ابن رشد الفيلسوف. انظر: تهافت التهافت ص٨٣٣-٨٤٣ ، القسم الثاني تحقيق الدكتور/ سليمان دنيا، دار المعارف .

([2]) الواقعة ٦٠ ، ٦١ .

([3]) النساء ٧٨ .

([4]) الأنبياء: ٣٤ .

([5]) آل عمران: ١٥٦ .

([6]) النحل : ٦١ .

إنسان لا يعلم زمانه ولا مكانه إلا الله وحده. يقول الله تعالى {وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير}([1]) يقول ابن كثير: ليس أحد من الناس يدري أي مضجعه من الأرض في بحر أو في بر أو سهل أو جبل([2]).ويروي حديثاً عن أسامة بن زيد أن رسول ﷺ قال: "ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له إليها حاجة"([3]) .

([1]) لقمان: ٣٤ .

([2]) ابن كثير ٣/٤٥٥ .

([3]) السابق ٣/٤٥٦ .

المبحث الثالث: البرزخ

يعرف البرزخ بأنه الحاجز بين شيئين، وما بين الموت والبعث فمن مات فقد دخل البرزخ([1]) وجاء في التعريف للسيد أن البرزخ هو الحائل بين الشيئين ويعبر عن عالم المثال . أعني الحاجز بين الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجردة أعني الدنيا والآخرة([2]) .

وقد سمى القرآن الكريم الفترة من بعد الموت إلى البعث بالبرزخ. يقول الله تعالى {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون}([3]) .

ويعتبر عذاب البرزخ ونعيمه أول منازل الآخرة التي يتعرض لها المؤمن وغير المؤمن يذكر ابن القيم أن أول عذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها، وهو مشتق منه وواصل إلى أهل البرزخ هناك كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة في غير موضع دلالة كقولهﷺ: "فيفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها" وفي الفاجر "فيفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها" معلوم قطعا أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها فإن كان يوم القيامة دخل من هذا الباب إلى مقعده الذي هو داخله([4])، وهناك بعض الأشياء التي

([1]) المعجم الوسيط ٤٩/١ ، مجمع اللغة العربية – الطبعة الثانية .

([2]) التعريفات للسيد الجرجاني ص٣٨ – طبعة الحلبي .

([3]) المؤمنون: ٩٩ ، ١٠٠ .

([4]) الروح لابن القيم ص١٢٥ .

تحدث للميت في أول فترة البرزخ منها سؤال الملكين يقول صاحب كتاب المسايرة في علم الكلام: "سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه ورد بهما الأخبار وتعددت طرقهما([1]) .

سؤال الملكين:

وقد وردت الآيات القرآنية الدالة على سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه مما يسبق سؤال الملكين في القبر لأهل البرزخ ومما يدل على الحياة في القبر قوله تعالى حكاية عن الكافرين {ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل}([2]) يذكر لشارح المواقف أن المراد بالإماتتين والإحيائين في الآية الإماتة قبل مزار القبور ثم الإحياء في القبر ثم الإماتة فيه بعد مسألة منكر ونكير ثم الإحياء للحشر .

ويقول الله تعالى {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء}([3]) هذه الآية تدل على سؤال الملكين في القبر ومما يدل على أن هذه الآية تدل على سؤال الملكين ما رواه البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فلذلك قوله تعالى {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة}([4])

([1]) المسايرة في علم الكلام لكمال الدين بن الهمام ص١٤٦-١٤٨ .
([2]) غافر: ١١ .
([3]) إبراهيم: ٢٧ .
([4]) فتح الباري ٣٠٥/٨ .

وأما السنة فيقول ابن القيم: "أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير متواترة"([1]) .

عذاب القبر ونعيمه:

يقول الله تعالى {فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب* النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب}([2]) يقول ابن كثير: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة إلى عذاب البرزخ في القبور([3]) .

وينقل القرطبي إجماع الجمهور على أن العرض في الآية يدل على عذاب القبر، قال في الفتح: قال القرطبي: الجمهور على أن العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر([4]).

وابن القيم في كتابه الروح يذهب إلى أن الآية دالة على عذاب القبر ولا تحتمل غير ذلك، يقول: فذكر عذاب الدارين ذكراً صحيحاً لا يحتمل غيره([5]) .

ومن الأحاديث التي تثبت عذاب القبر: ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: مر النبيﷺ: على قبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال: بلى أما أحدهما فكان يسعى بين الناس بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر([6]) من

([1]) الروح لابن القيم ص١٢٧ .

([2]) غافر: ٤٥ ، ٤٦ .

([3]) تفسير ابن كثير ٨١/٣ .

([4]) فتح الباري ١٨٠/٣ .

([5]) الروح لابن القيم ص١٢٧ .

([6]) في معظم الروايات لا يستبرىء من بوله .

بوله" قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غــرز كــل واحــد منهما على قبر، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"([1]) .

وروى الإمام مسلم بسنده عن زيد بن ثابت قال: بينما رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت بــه فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا، فقال: فمتى مات هؤلاء؟ قالوا: مــاتوا فــي الإشراك. فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تــدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثــم أقبــل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار ، قال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها ومــا بطــن، فقالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال"([2]) .

وروى مسلم بسنده عن أبي هريــرة رضــي الله عنــه أن النبيﷺ قال: "إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بــالله مــن أربع: من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبــر ، ومــن فتنــة المحيــا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال"([3]) .

([1]) فتح الباري ١٨٨/٣ .

([2]) رواه مسلم ٢١٩٩/٣ – ٢٢٢٠ .

([3]) رواه مسلم ٤١٢/١ طبعة الحلبي .

المبحث الرابع: علامات الساعة

بداية يقرر القرآن الكريم أن الساعة بمعناها العام التي تقوم فيها القيامة وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات لا يعلمها أحد إلا الله، يقول الله تعالى: {إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير}([1]) .

ويقول الله تعالى في رده على الذين يسألون الرسولﷺ عن الساعة مبينا عدم معرفة الرسول لوقتها، وإنما الذي يعلم وقتها هو الله {يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند ربي ولكن أكثر الناس لا يعلمون}([2]) ويبين القرآن الكريم أن مهمة الرسول الإنذار بها لا تحديد وقتها، يقول الله تعالى: {يسئلونك عن الساعة أيان مرساها* فيم أنت من ذكراها* إلى ربك منتهاها* إنما أنت منذر من يخشاها* كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها}([3]) والآيات القرآنية تقرر بكل صراحة ووضوح أن الساعة لا يعلمها أحد إلا الله، ونفى القرآن الكريم عن الرسول معرفتها، وبين أن مهمته تتمثل في الإنذار بها لا تحديد وقتها .

([1]) لقمان: ٣٤ .

([2]) الأعراف: ١٨٧ .

([3]) النازعات: ٤٢ – ٤٦ .

إلا أن علامات الساعة وأشراطها قد أخبر عنها الرسول ﷺ روى الإمام مسلم بسنده عن ابن عمر في حديث جبريل الذي سأل فيه الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، أن جبريل سأل الرسول ﷺ عن الساعة قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"([1]) .

وروى مسلم بسنده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ "بعثت أنا والساعة كهاتين، وضم السبابة والوسطى"([2]) .

يقول النووي في شرحه لهذا الحديث: المراد بينهما شيء يسير كما بين الإصبعين في الطول، وقيل: هو إشارة إلى قرب المجاوزة ([3]).

أشراط الساعة :

من أشمل الأحاديث الصحيحة في علامات الساعة الصغرى والكبرى ما رواه الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر

([1]) صحيح مسلم ٢٢/١ طبعة عيسى الحلبي .

([2]) صحيح مسلم بشرح النووي ٨٩/١٨ ، ٩٠ الناشر المطبعة المصرية ومكتبتها .

([3]) السابق :٨٩/١٨.

الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرض فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس أمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبيعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها"([1]) .

وهذا الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن علامات الساعة من أشمل الأحاديث التي وردت في أشراط الساعة إلى درجة أنه "لم يبق بعد هذا ما ينظر فيه من العلامات والأشراط في عموم إنذار النبيﷺ بفساد الزمان وتغيير الدين وذهاب الأمانة وما يعني عن ذكر التفاصيل الباطلة والأحاديث الكاذبة في أشراط الساعة([2]).

ولقد استنبط العلماء من حديث البخاري السابق أن علامات الساعة منها ما وقع على وفق ما قاله ﷺ وهذا من علامات ثبوته ومنها ما وقعت مباديه ولم يستحكم بعد، ومنها مالم يقع منها شيء

([1]) فتح الباري ١٣/٧٠-٧٦ .

([2]) التذكرة ٧٣٤/٢ ، يورد القرطبي في التذكرة بعض الأحاديث والتفاصيل الباطلة عن أشراط الساعة والتي منها ما رواه قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في سنة مائتين تأوبه كذا وكذا وفي العشر والمائتين يكون كذا وكذا وبين كذب هذه الأخبار من ناحية أنه قد مضت هذه المدة وغيرها و لم يقع شيء من الذي يدعى أن الرسول أخبر به ومن ناحية أخرى أن التاريخ على عهد رسول الله لم يكن معروفاً وإنما عرف في عهد عمر فكيف يجوز هذا، و لم يكن وضع شيء من التاريخ . التذكرة ٧٣٥/٢ .

ولكنه سيقع. يقول ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري في شرحه للحديث السابق: هذه المذكورات وغيرها مما أخبر ﷺ بأنه سيقع وقبل أن تقوم الساعة، لكنه على أقسام :

أحدهما: ما وقع وفق ما قال، وهذا من علامات النبوة له ﷺ كاقتتال الفئتين العظميتين، وظهور الفتن، وكثرة الهرج، وتطاول الناس في البنيان، وتمنى بعض الناس الموت .

الثاني: ما وقعت مبادئه ولم يستحكم، ومن هذا النمط تقارب الزمان، وكثرة الزلازل، وخروج الدجالين الكذابين، وحين يوسد الأمر إلى غير أهله حتى يكون الولد غيظاً، والمطر قيظاً، ويجترئ الصغير على الكبير، واللئيم على الكريم، ويخرب عمران الدنيا .

الثالث: ما لم يقع وسيقع بعد، ومن هذه النمط طلوع الشمس من مغربها، وقتال المسلمين لليهود حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر، فيقول الحجر: يا مسلم يا عبد الله ورائي يهودي فاقتله وأن ذلك يظهر قبل الدجال. وهذه العلامات من العلامات الكبرى التي لا تقبل التوبة بعدها.

وينقل ابن حجر حديثاً أخرجه الترمذي وصححه عن أبي هريرة رفعه "ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل : الدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها"([1]).

([1]) فتح الباري ٧٧/١٣ وانظر من صفحة ٧١ – ٧٧ .

المبحث الخامس: البعث

احتل البعث مكانا كبيراً في القرآن الكريم لدرجة "أننا قلما نجد سورة في التنــزيل إلا والبعث واليوم الآخر فيها سهم وأي ســـهم"([1]) واهتمام القرآن بالبعث واليوم الآخر إلى نواح منها:

الأولى: عرض سورة واقعية للبعث وما يصحبه وما يقع بعــده مــن أحداث وهذا ما سنتعرض له في هذا المبحث كواقعة من واقعات اليوم الآخر .

مقدمات البعث:

١ - **النفخ في الصور:** والصور هو القرن الذي يــنفخ فيــه. روى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: قال أعرابي: يا رســول الله ما الصور؟ قال: قرن ينفخ فيه([2]) ولقد تكرر ذكر الصور في القرآن الكريم في سور "الأنعام ، المؤمنون ، النمل ، الزمر ، ق" وغيرها([3]) .

وورد ذكره في السنة النبوية الشريفة وقد اختلف العلماء في عدد النفخات في الصور بعد اتفاقهم على أنه يسبق يوم القيامة والبعث، فمن العلماء من اعتبر ان عدد النفخات ثلاث، ومن هؤلاء ابن كثير في كتابه "النهاية في الفتن والملاحم" يقول: النفخات في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ، ثم نفخة الصعق ، ثم نفخة البعث ([4]) .

والإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى {ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شــاء الله وكــل أتــوه

([1]) قصد السبيل في التفسير الموضوعي لآي التنــزيل ص١٢٧ .
([2]) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٠/١٠ -١١ تحقيق أحمد شاكر .
([3]) فتح الباري ٣٠٨/١١ .
([4]) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ٢٧٩/١ .

داخرين}([1]) يقول: اختلف أهل التأويل في قوله تعالى {ويوم ينفخ في الصور} .

ويذهب الإمام النسفي في تفسيره إلى أن الجمهور على أنها ثلاث: الأولى للفزع كما قال {ونفخ في الصور ففزع} والثانية للموت، والثالثة للإعادة([2]) .

٢ - **البعث:** عرف العلماء البعث بأنه توجه الشيء إلى ما كان عليه، والمراد هنا الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق، وإلى الحياة بعد الموت والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة([3]) .

يقول إمام الحرمين في الإرشاد: فإن سئلنا عن الدليل على الإعادة استقرئناه من نص الكتاب وفحوى الخطاب، وشبهنا الإعادة بالنشأة الأولى، كما قال تعالى ردا على منكري البعث {قال من يحيي العظام وهي رميم}([4])

والقرآن الكريم يصور بعث الناس وخروجهم من القبور لله رب العالمين يقول تعالى{ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون* قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون* إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون* فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنت تعملون}([5]) .

([1]) النمل : ٨٧ .

([2]) تفسير النسفي : ٦٦/٤.

([3]) شرح المقاصد للسعد ١٥٣/٢ .

([4]) يسن ٧٨ ، وانظر: الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني ص٢٧٢ تحقيق الدكتور محمد يوسف ، على عبد المنعم – مكتبة الخانجي ١٩٥٠.

([5]) يس : ٥١ –٥٤ .

ومما اهتم به القرآن والسنة النبوية ما يسبق البعث من أهـوال تتمثل في زلزلة الأرض، ونسف الجبال، وتكـوير الـشمس، وتفجيـر البحار، وتناثر النجوم، وتبعثر القبور، وغير ذلك من الأحداث التي تقع يوم القيامة. يقول الله تعالى {إذا وقعت الواقعة* ليس لوقعتها كاذبـة* خافضة رافعة* إذا رجت الأرض رجا* وبست الجبال بـسا* فكانـت هباء منبثا}([1]) .

ومما تجدر الإشارة إليه أخبار رسـول الله ﷺ بمـا يفعلـه الله بالسماء والأرض. روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض"([2]) .

ويبلغ تصوير القيامة عند رسول اللهﷺ مبلغه حين يشخص لنـا يوم القيامة متمثلاً في بعض سور القرآن الكريم. روى الإمـام أحمـد بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ {إذا الـشمس كـورت} ، و{إذا الـسماء انفطرت}، و{إذا السماء انشقت} . وأحسبه أنه قال سورة هود"([3])، وإن المتأمل في السور التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم على أنهـا تعرض يوم القيامة مشهودا للناس يجد حقاُ أنها تـصور يـوم القيامـة بأهواله وأحداثه ومشاهده أبلغ تصوير .

وظاهر النصوص القرآنية تفيد أن نسف الجبال وغير ذلك مما يصاحب البعث والنفخ في الصور، ومن الجدير بالذكر أن رسول اللهﷺ هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة. روى البخاري بسنده عـن

([1]) الوقعة ١-٦ .

([2]) فتح الباري ٣١٣/١١ .

([3]) مسند الإمام أحمد ٢٧/٢ .

أبي هريرة حديثاً طويلاً وفيه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله عز وجل"([1]).

([1]) فتح الباري ١١/٣١١، ٣١٢.

المبحث السادس: الحشر

للحشر كما ورد في القرآن الكريم أربعة أنواع: حشران في الدنيا ، وحشران في الآخرة. وسنتحدث بإيجاز عن نوعي الحشر في الدنيا ثم نفصل نوعي الحشر في الآخرة فنذكر تعريف الحشر، وعمومه للإنس والجن والحيوان والطير، وسماءه وأرضه، وكيفية ذكر العرق يوم القيامة في حشر المؤمنين إلى الجنة، وحشر الكاذبين إلى النار .

الحشر في الدنيا: أول نوع من أنواع الحشر في الدنيا هو ما ذكره الله عز وجل في قوله تعالى {هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر}([1]) .

النوع الثاني في الدنيا: الحشر الذي يكون قبل يوم القيامة والذي يعتبر من علامات الساعة، وفيه أن النار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل من تخلف منهم، وهذا الحشر هو الذي ورد عنه الخبر فيما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال "يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين، وراهبين، واثنان على بعير، ثلاثة على بعير، أربعة على بعير، عشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا"([2]) . والعلماء مختلفون حول هذا الحشر هل هو في الدنيا أو في الآخرة ؟

فذهب بعض العلماء إلى أن المراد بهذا الحشر: الحشر في الآخرة. وحجتهم أن الحشر إذا أطلق في عرف الشرع يراد به الحشر

([1]) الحشر ٢.

([2]) فتح الباري ٣١٩/١١ ، ٣٢٠ .

من القبور ما لم يخصصه دليل كما في الحديث السابق وأيضاً أن بقية الناس التي تحشرهم النار قول لم يرد فيه توقيف، وليس لأحد أن يحكم على أهل الشقوة بتسليط النار عليهم في الدنيا([1]). ويحتج من يذهب من العلماء إلى أن هذا الحشر في الآخرة بأن التقسيم فى الحديث للناس إشارة إلى التمثيل في سورة الواقعة، ويرون أن قوله ﷺ "يحشر الناس على ثلاثة طرائق" إشارة إلى الأبرار والذين خلطوا عملا صالحاً وأخر سيئاً وإشارة إلى الكفار. فالأبرار هم الراغبون إلى الله تعالى فيما أعد لهم من ثوابه والراهبون هم الذين بين الخوف والرجاء، والأبرار يحملون النجائب، والراهبون على الأبعرة والفجار تسوقهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا"([2]) .

الحشر في الآخرة: حشر الأموات من قبورهم وغيرها من البعث إلى الموقف، وهو في اللغة: الجمع. ورد في مختار الصحاح: حشر الناس جمعهم، وبابه ضرب ونصر، ومنه يوم الحشر([3]) .

وفي الاصطلاح عند علماء التوحيد: سوقهم جميعا -أي المخلوقات- إلى الموقف وهو الموضع الذي يقفون فيه من الأرض المقدسة المبدلة التي لم يعص الله عليها، لفصل القضاء بينهم، لا فرق في ذلك بين من يجازى وهم الإنس والجن والملك، وبين ما لا يجازى كالبهائم والوحوش على ما ذهب إليه المحققون([4]) .

وهذا الحشر يكون للمخلوقات كلها لقوله تعالى {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من

([1]) فتح الباري ٣١٨/١١ .
([2]) التذكرة للقرطبي ٢٤٣/٢ .
([3]) مختار الصحاح ص١٣٧ .
([4]) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص٢١٣ .

شيء ثم إلى ربهم يحشرون}([1]) يروي الترمذي عن أبـــي هريـــرة أن رسول اللهﷺ قال: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء"([2]) .

أرض الحشر في الآخرة:

إن أرض المحشر التي يحشر الله الخلق إليها يوم القيامة تكون غير أرض الدنيا مصداقاً لقوله تعالى {يوم تبدل الأرض غيـــر الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار}([3])الآية فيها دليل على أن الأرض يوم القيامة سوف تبدل وكذلك السماوات وتبديل الأرض قد يكون بالذات أي أن الأرض ذاتها تبدل كقوله تعالى تعالى {كلما نـــضجت جلـــودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذقوا العذاب}([4]) وهذا الـــرأي يؤيـــده مـــا رواه البخاري بسنده عن سهل بن سعد قال سمعت النبي ﷺ يقـــول: "يحـــشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي" ، قال ســـهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد قال الخطابي: العفر بياض ليس بالناصع وليس فيها معلم لأحد أي ليس فيها علم لأحد. أي أنها مستوية والحديث يدل على أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة، والحكمـــة في ذلك اليوم أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهراً عن عمل المعصية والظلم وليكون تجليه سبحانه وتعالى على عباده على أرض تليق بعظمته، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده، فناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده([5]) .

([1]) الأنعام ٣٨.

([2]) تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي ١٠٤/٧ .

([3]) إبراهيم : ٤٨ .

([4]) النساء ٥٦ .

([5]) فتح الباري ٣١٥/١١ .

كيفية الحشر في الآخرة:

ونعني بكيفة الحشر الصفة التي يكون الناس عليها أثناء حشرهم وسوقهم إلى الموقف للحساب. وقد وردت الأحاديث التي تبين الكيفية التي يحشر الناس عليها يوم القيامة من كونهم حفاة عراة غرلاً. فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول: "إنكم ملاقو الله حفاة عراة غرلاً"([1]).

صفة العرق يوم القيامة:

من الأشياء التي تصاحب الحشر يوم القيامة العرق الذي يعم الخلق إلا من رحم الله، وقد وردت أحاديث عدة عن العرق وصفته يوم القيامة، منها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم"([2]).

وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: "يوم يقوم الناس لرب العالمين، حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه"([3]) وروى الترمذي عن سليم بن عامر أخبرنا المقداد صاحب رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو أثنين" قال سليم بن عامر لا أدري أي الميلين عني أمسافة الأرض أم الميل الذي يكحل به العين؟ قال: فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم: فمنهم من يأخذه إلى عقبه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه ، ومنهم من يلجم إلجاماً فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه أي يلجم إلجاماً"([4]) .

([1]) فتح الباري ٣٢١/١١ .

([2]) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص٨٠٤ جمع وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي .

([3]) السابق ص٨٠٤ .

([4]) تحفة الاحوذي ١٠٥/٧ ، ١٠٦ ، ومسلم ٢١٦١/٤ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

المبحث السابع: صحائف الأعمال

من مشاهد يوم القيامة صحائف الأعمال وهي من السمعيات التي وردت في القرآن الكريم، وأخبر عنها رسول الله ﷺ وصحائف الأعمال عبارة عن الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا([1]). وهذه الصحف هي التي سيحاسب الإنسان على أساس ما فيها من الأعمال إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. يقول صاحب المقاصد: من السمعيات تطاير الكتب والدليل عليها قول الله تعالى {وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا}([2]) ويقول تعالى {فأما من أوتي كتابه بيمينه* فسوف يحاسب حساباً يسيرا}([3]) ويقول صاحب المواقف عن هذه الآية: "قد ثبت بها قراءة الكتب"([4]) ويذكر صاحب مطالع لأنظار أن سائر السمعيات ومنها تطاير الكتب الأصل فى إثباتها أنها ممكنة في أنفسها والله تعالى قادر على كل هذه الأشياء، والصادق أخبر عن وقوعها فيكون هذا مفيد للعلم بوجودها، ويذهب الجويني إلى أن العقول لا تحيل شيئاً من هذه السمعيات والدلالة ثابتة على القطع بالميزان والحوض والكتب التي يحاسب عليها الخلائق([5]) .

والقرآن الكريم يذكر الصحف التي كتبت فيها الحسنات والسيئات للعبد في الدنيا بقوله تعالى {فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون}([6]) أي مثبوت في صحائف أعمالهم لا نغادر من ذلك شيئاً([7]). وهذه الصحائف هي التي يعبر عنها القرآن في بعض الآيات بالكتاب كما فى قوله تعالى {ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه

([1]) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص٢٢٢ .

([2]) الإسراء : ١٣ .

([3]) الانشقاق: ٧ ، ٨ .

([4]) شراح المواقف ٤٥٣/٢ .

([5]) انظر: مطالع الأنظار لأبي الثناء شمس الدين الأصفهاني ص٤٦٤ ، والإرشاد للجويني ص٣٧٩ .

([6]) الأنبياء ٩٤ .

([7]) أبو السعود ٥٣٥/٣ .

ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا}([1]) . أي أن صحائف الأعمال وضعت إما في أيدي أصحابها يمينا وشمالاً وإما في الميزان، وهذه الصحائف لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا حواها .ووجدوا ما عملوا حاضراً أي مسطوراً([2]) والله لا يظلم احد يوم القيامة لأن كل إنسان سوف يلزمه كتابه يوم القيامة وهذا الكتاب مسطور فيه كل شيء فعله الإنسان من الحسنات والسيئات. يقول تعالى {وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً* اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً}([3]) والطائر هنا هو ما طار عنه من عمله من خير أو شر وهو يلزم به ويجازى عليه، كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما، والمقصود من الآية أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره ويكتب عليه ليلاً ونهاراً صباحاً ومساء([4]) وصحف الأعمال التي يعبر عنها القرآن الكريم بالكتاب تسجل كل الأشياء على الإنسان مصداقاً لقوله تعالى {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}([5]) ويقول تعالى {وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين* يعلمون ما تفعلون}([6]) .

وهذه الصحف يأخذها الإنسان بيمينه إن كان من الصالحين ويحاسب على أساسها حساباً يسيراً، ويأخذها الطالح بشماله ويحاسب على أساسها حساباً عسيراً ويقول تعالى {فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيراً}([7]) {وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه* ولم

([1]) الكهف: ٤٩ .
([2]) أبو السعود ٣/٣٨٥ ، ٣٨٦ .
([3]) الإسراء: ١٣ ، ١٤ .
([4]) انظر: ابن كثير ٣/٢٧ .
([5]) ق: ١٨ .
([6]) الانفطار: ١٠ –١٢ .
([7]) الانشقاق ٧ ، ٨ .

أدر ما حسابيه}([1]) وهذه الصحف سوف تنشر يوم القيامة على رؤوس الأشهاد مصداقاً لقوله تعالى {وإذا الصحف نشرت}([2]) . ويقرأ كل إنسان صحيفته يوم القيامة لا فرق بين الذي يعرف القراءة والذي لا يعرف ومنهم من لم يقرأ صحيفته ذهولاً ودهشة لاشتمالها على القبائح([3]) وهذه الصحف حين تنشر لا يقدر أحد أن يقدم عذراً أو يجادل عن نفسه، وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال، ومعاذير، وأما الثالثة فعند تطاير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله"([4]) والمراد أن الناس يدفعون عن أنفسهم، ويقولون لم يبلغنا الأنبياء، ويحاجون الله تعالى ولكن عند تطاير الصحف يسكت الجميع، ويأخذ أهل السعادة صحفهم بأيمانهم وأهل الشقاوة بشمائلهم([5]) .

([1]) الحاقة: ٢٥ ، ٢٦ .

([2]) التكوير: ١٠ .

([3]) تحفة المريد ص٢٢٤ .

([4]) رواه حمد في المسند ٤/٤١٤ .

([5]) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ٧/١١١ ، ١١٢ .

المبحث الثامن: الحساب

الحساب لغة: العد .

واصطلاحاً: توقيف الله الناس على أعمالهم خيراً كانت أو شراً، قولاً كانت أو فعلاً، تفصيلاً بعد أخذ كتبهم ويكون للمؤمن والكافر إنساً وجنا إلا من استثنى منهم([1]) .

والحساب ثابت بالكتاب والسنة والإجماع عند أهل السنة .

والمعتزلة تثبت الحساب وتستدل عليه بقول صاحب الأصول الخمسة: الحساب مما لا يجوز إنكاره فقد قال تعالى {فأما من أوتي كتابه بيمينه* فسوف يحاسب حساباً يسيراً * وينقلب إلى أهله مسروراً}([2]) نجد أن محاسبة الله تعالى إيانا لا تجري على حد ما تجري المحسابة بين الشريكين والمتعامين([3]) .

والقرآن الكريم يعرض الحساب ويركز على عدة حقائق منها:

أولا: أن الله هو الذي يتولى الحساب: يقول الله تعالى {لله ما في السماوات والأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله}([4]) ويقول الله تعالى {إنا إلينا إيابهم* وإنا علينا حسابهم}([5]) .

([1]) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٦.

([2]) الإنشقاق ٧-٩ .

([3]) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٧٣٦ .

([4]) البقرة: ٢٨٤ .

([5]) الغاشية ٢٥ ، ٢٦ .

وهذه الآيات إخبار من الله سبحانه وتعالى بأنه سيحاسب الخلق على أعمالهم ويجازيهم بها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهذا الحساب سوف يكون سريعاً يقول الله تعالى {والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب}([1]) ويقول الله تعالى {ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب}([2]) .

ثانياً: نفي قيام الرسول بمحاسبة الخلق يوم القيامة:

القرآن الكريم بعد أن يثبت أن الله هو الذي يتولى الحساب يوم القيامة يثبت أن الرسولﷺ لا يحاسب أحدا من الخلق يوم القيامة يقول الله تعالى { ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين}([3]) .

ثالثاً : كيفية الحساب:

يقول الله تعالى {فأما من أوتي كتابه بيمينه* فسوف يحاسب حساباً يسيراً* وينقلب إلى أهله مسروراً* وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعه ثبوراً* ويصلى سعيراً}([4]). وهذه الآية سألت عنها أم المؤمنين عائشة رسول اللهﷺ. فقد روى البخاري ومسلم - واللفظ لمسلم- عن عائشة قالت: قال رسول اللهﷺ: "من حوسب يوم القيامة عذب" فقلت: أليس قد قال الله عز وجل {فسوف يحاسب حساباً يسيراً} فقال: ليس ذلك الحساب إنما ذاك العرض

([1]) الرعد ٤١ .

([2]) إبراهيم :٥١ .

([3]) الأنعام: ٥٢ .

([4]) الانشقاق ٧-١٢ .

من نوقش الحساب يوم القيامة عذب" وروى الترمذي عن عائشة قالت: يا رسول الله إن الله يقول {فأما من أوتي كتابه بيمينه* فسوف يحاسب حساباً يسيراً} قال: ذاك العرض([1]) .

أهم العناصر التي يدور حولها الحساب يوم القيامة :

أولا: المؤمنون إن العناصر التي يدور حولها الحساب يوم القيامة هى الأقوال والأفعال. أما حديث النفس والهم بالسيئات فإن الله لا يجازي الإنسان عليها، وإن كان يثيب على الهم بالحسنة ويجازى عليها. يقول الله تعالى {لله ما في السماوات والأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير}([2]) وهذه الآية حين نزلت شق ذلك على الصحابة إذ أنها تفيد أن الله يوم القيامة يحاسب الإنسان على ما أبداه وفعله وما أخفاه ولم يفعله. وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: لما أنزلت على رسول الله ﷺ {لله ما في السماوات والأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير} قال اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كلفنا من العمل ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية، ولا نطيقها. قال رسول الله ﷺ: "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ قالوا: {سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك

([1]) تحفة الأحوذي ١١٢/٧ .

([2]) البقرة ٢٨٤ .

المصير}([1]) فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا} قال نعم {ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا }قال نعم {ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به} قال نعم {واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين}قال نعم([2]) .

ثانيا الكافرون: يسأل الله عز وجل الكافر يوم القيامة محاسباً إياه، فيتنصل الكافر من كفره ومن ذنوبه يقول الله تعالى {ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون* ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين* انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون}([3]).

وروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك أن النبيﷺ كان يقول: "سيجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم فيقال له: ما هو أيسر من ذلك"([4]) .

وروى الترمذي بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول اللهﷺ: "يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له: ألم أجعل لك سمعا وبصراً ومالا وولدا، وسخرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع، فكنت

([1]) البقرة ٢٨٥ .

([2]) رواه الإمام مسلم ٦٥/١ .

([3]) الأنعام ٢٢-٢٤.

([4]) فتح الباري ٣٣٩/١١ ، ٣٤٠ .

تظن أنك ملاقي يومك هذا ؟ فيقول: لا. فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني"[1] .

(1) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ١١٥/٧ .

المبحث التاسع: الصراط

الصراط لغة: الطريق الواضح ، مأخوذ من صرطه يصرطه إذا ابتلعه لأنه يبتلع المارة([1]) .

وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم يـرده الأولـون والآخرون([2]) .

والصراط ثابت بالكتاب والسنة والإجماع .

أولا: القرآن الكريم :

يقول الله تعالى {فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون}([3])، ويقول تعالى {وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضياً}([4]).

وروى ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا: الورود المرور على الصراط، رواه السدي عن ابن مسعود عن النبيﷺ ([5]) .وعن الأحوص عن عبد الله قوله {وإن منكم إلا واردها}([6]) قال الصراط على جهنم مثل حد السيف([7]).

ويقول صاحب المقاصد : ويشبه أن يكون المرور عليه أي الصراط هو المراد بورود كل أحد النار ما قال تعالى {وإن منكم إلا واردها} .

ثانياُ: السنة النبوية :

([1]) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص٢٢٦ .

([2]) السابق ص٢٢٦ .

([3]) يس ٦٦ .

([4]) مريم : ٧١ .

([5]) التذكرة للقرطبي ١٠٤/٢ .

([6]) مريم : ٧١ .

([7]) ابن كثير ١٣٢/٣ ، وأبو السعود ص٤٣٨ .

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة حديثاً طويلاً جاء فيه أن رسول الله ﷺ قال: "فيضرب الصراط على ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل. وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان. هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم. قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجوا"([1]).

روى الشيخان بسندهما عن أبي سعيد الخدري حديثاً طويلا جاء فيه: "ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهراني جهنم، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق، قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا وإذا رأوا أنهم قد نجوا من إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا. فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ...الحديث"([2]) .

ثالثاً الإجماع:

([1]) صحيح البخاري ١٤٦/١ .

([2]) صحيح البخاري ٢٨٥/٤ ، ٢٨٦صحيح مسلم ١٦٧/١ – ١٦٨ ، واللفظ للبخاري .

والصراط أجمعت عليه الأمة. يقول صاحب الجوهرة: "اتفقت الكلمة عليه في الجملة أي بقطع النظر على إبقائه على ظاهره كما هو مذهب أهل السنة"([1]) .

رأي المعتزلة في الصراط: يتهم صاحب المقاصد المعتزلة بوجه عام والقاضي عبد الجبار بوجه خاص أنه ينكر الصراط. يقول السعد: وأنكره القاضى عبد الجبار وكثير من المعتزلة زعما منهم أنه لا يمكن الخطو عليه، ولو أمكن ففيه تعذيب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة([2]) .

والحق أن ما ذهب إليه صاحب المقاصد فيه تجاوز للحقيقة لأن القاضي عبد الجبار يثبت الصراط ويعترض على ما ذهب إليه بعض مشايخ المعتزلة من أنه عبارة عن الأدلة الدالة على الطاعات. يقول القاضي عبد الجبار: من جملة ما يجب الإقرار به واعتقاد الصراط وهو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه، وقد دل عليه القرآن الكريم قال الله تعالى {اهدنا الصراط المستقيم* صراط الذين أنعمت عليهم}([3]) .

هذا هو رأي القاضي عبد الجبار في الصراط. رأينا كيف أنه يثبته ويأخذ على بعض مشايخ المعتزلة تأويله. وهذا ما دعانا

([1]) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص٢٢٧ ، وانظر: الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٧٣٧ ، ٧٣٨ ، المقاصد للسعد ٢/١٦٤ ، وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص٣٣٩ ، ٣٤٠ .

([2]) المقاصد للسعد ٢/١٦٤ .

([3]) الفاتحة ٦ ، ٧ . وانظر: الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٧٣٧ .

إلى أن نقول: إن صاحب المقاصد كان متجاوزاً للحقيقة حينما رأى القاضي عبد الجبار ينكر الصراط .

المبحث العاشر: الميزان

من مشاهد يوم القيامة الميزان، ويكون بعد الحساب. يقول القرطبي في التذكرة : قال العلماء إذا انقطع الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء فيكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها لكون الجزاء بحسبها. قال الله تعالى {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً}([١]) .

والميزان ثابت بالكتاب والسنة والإجماع والدليل عليه قوله تعالى {والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون}([٢]) .

وقول الرسولﷺ فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان"([٣]) يقول السعد: ذهب كثير من المفسرين إلى أنه ميزان له كفتان ولسان وساقان عملا بالحقيقة لإمكانها، وقد ورد في الحديث تفسيره بذلك([٤]) .

يقول ابن تيمية حين سئل عن الميزان: "الميزان هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل، كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قول الله تعالى {فمن ثقلت موازينه} وقوله تعالى {ونضع

([١]) الأنبياء ٤٧ ، التذكرة للقرطبي ٣٧٣/٢ .
([٢]) الأعراف ٨ ، ٩ .
([٣]) رواه مسلم ١/ ٢-٣.
([٤]) المقاصد للسعد ١٦٤/٢ .

الموازين القسط ليوم القيامة} وفي الصحيحين عن النبيﷺ أنه قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان"([1]) والميزان كمما يقول الإمام الغزالي "حق وقد دلت عليه قواطع السمع وهو ممكن فوجب التصديق به"([2]) .

وقد وردت الآيات القرآنية بصيغة الجمع للميزان يوم القيامة وآيات أخرى بالإفراد، ولا تعارض في ذلك؛ لأنه من الممكن أن يقال: إن لكل عاقل موازين يوزن بكل منها صنف من عمله. وجاء القرآن الكريم بالوزن تارة في قوله تعالى {والوزن يومئذ الحق}([3]) وبالموازين تارة في قوله تعالى {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة}([4]) وقيل: لفظ الجمع للتعظيم، وإنما الميزان الكبير واحد إظهاراً لجلالة الأمر وعظمة المقام([5]) .

كيفية الميزان:

ذهب جمهور المفسرين أن الموزون الكتب التي اشتملت على أعمال العباد، بناء على أن الحسنات مميزة بكتاب والسيئات بآخر. وقيل: بل تجعل الحسنات أجساماً نورانيه والسيئات أجساماً ظلمانية([6]) .

وهناك بعض الأحاديث تبين أن الرجل يوزن مع عمله، وأخرى تفيد أن العمل نفسه هو الذي يوزن .

([1]) فتاوى ابن تيمية الكبرى ٣٠٢/٤ .

([2]) الاقتصاد في الاعتقاد ص١٨٢ ، ١٨٣ .

([3]) الأعراف ٨ .

([4]) الأنبياء ٤٧ ، وانظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص٢٢٤ .

([5]) المقاصد للسعد ١٦٤/٢ .

([6]) انظر تحفة المريد ص ٢٢٥ ، المقاصد للسعد ١٦٤/٢ .

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ قال"إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا إن شئتم {فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا}(1) .

من توزن أعمالهم يوم القيامة ؟

الميزان يكون للمؤمنين والكفار يوم القيامة، ويستثنى من المؤمنين من يدخلون الجنة بغير حساب. يقول القرطبي: "الميزان حق ولا يكون في حق أحد بدليل قوله ﷺ "فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه"(2). ويؤخذ من هذا أن الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا توزن لهم أعمال؛ لعلم الله عز وجل بصلاحهم وثقل أعمالهم ، وأما ما جاء عن الكفار فى قوله تعالى {أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا}(3)يقول ابن حزم بعد أن أورد الآية السابقة: "وليس هذا على أن لا توزن أعمالهم بل توزن، لكن أعمالهم شائلة، وموازينهم خفاف، فقد نص الله تعالى على ذلك إذ يقول: {ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون} إلى قوله: {فكنتم بها تكذبون}(4) .

فائدة الميزان :

(1) الكهف ١٠٥ ، والحديث رواه الإمام مسلم ٢١٤٧/٤ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
(2) التذكرة للقرطبي ٣٧٥/٢ .
(3) الكهف ١٠٥ .
(4) المؤمنون ١٠٢ –١٠٥ .

إن وزن الأعمال يوم القيامة بالنسبة للمؤمنين والكفار أن تجعل علامة لأهل السعادة إذا كانت موازينهم ثقيلة، وتكون علامة لأهل الشقاوة الذين خفت موازينهم. وفي الميزان تعريف للعباد بما لهم وما عليهم وإقامة الحجة عليهم، وإظهار لعدل الله عز وجل يوم القيامة، وفيه بيان للطف الله ببعض الناس يوم القيامة حين يتجاوز عن سيئاتهم ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته .

والميزان له فائدة تتعلق بالمكلفين، وهذه الفائدة هي تنبيه المكلفين إلى أداء الواجبات وترك المنكرات إذا علموا أن أعمالهم ستعرض عليهم وتوزن على رؤوس الأشهاد يوم القيامة([1]) .

([1]) الفصل لابن حزم ٥٤/٤ ، التذكرة ٣٧٣/٢ ، تحفة المريد ٢٢٥ .

المبحث الحادي عشر: الحوض

من الأشياء التي انفرد بها الإسلام عن النصرانية واليهودية: الحوض الذي يشرب منه المؤمنون الذين عملوا الصالحات من أمة محمدﷺ .

والحوض ثابت بالكتاب والسنة .

فمن الأمور السمعية الحوض([1]) قال تعالى {إنا أعطيناك الكوثر * فصلى لربك وانحر}([2])وفي سبب نزول سورة الكوثر أورد الإمام ابن كثير حديثاً عن أنس بن مالك قال: "أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه مبتسماً. إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: "إنه أنزلت على آنفاً سورة "فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم {إنا أعطيناك الكوثر} حتى ختمها فقال: هلى تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله اعلم. قال: هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك" هكذا رواه الإمام أحمد([3]) .

يقول الأشعري في الإبانة: "وأنكرت المعتزلة الحوض" وروى عن النبيﷺ من وجوه كثيرة ، وروى عن أصحابه بلا خلاف"([4]) .

([1]) المقاصد للسعد ١٦٤/٢ .

([2]) الكوثر : ١ ، ٢ .

([3]) تفسير ابن كثير ٥٥٦/٤ .

([4]) الإبانة للأشعري ص٧٥ .

والإمام الجويني في "لمع الأدلة" يذكر أن كل ما جوزه العقل ورد به الشرع وجب القضاء بثبوته فما ورد به الشرع الصراط والميزان والحوض([1]) .

ولقد وردت الأحاديث الصحيحة عن الحوض وعظم قدره . روى الإمام مسلم بسنده عن أبي حازم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أنا أفرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم" قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قال: فقلت نعم، قال: وانا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: "إنهم أمتي فيقال إنك لا تدري ما عملوا بعدك. فأقول سحقا سحقاً لمن بدل بعدي"([2]) .

والحديث يدل على أن رسول الله ﷺ يقف على الحوض وسيرد عليه أقوام من أمته ولا يستطيعون أن يقتربوا من الحوض أو يشربوا منه، فيسأل رسول الله ﷺ عنهم، فيقال له إنهم بدلوا وغيروا بعدك فيوافق رسول اللهﷺ على بعدهم. وقد وردت أحاديث أخرى تبين عظم وقدر الحوض .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ: "حوض مسيرة شهر،

([1]) لمع الأدلة لإمام الحرمين عبد الملك الجويني، تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود ص١١٢ ، ١١٣ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة .

([2]) رواه الإمام مسلم ٣١٦/٢ طبعة عيسى البابي الحلبي .

وزواياه سواء، ماؤه أبيض من الـورق([1])، وريحـه أطيـب مـن المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فـلا يظمـأ بعـده أبداً"([2]) .

وروى الإمام البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضـي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن قدر حوضي كما بين أيلة وصـنعاء من اليمن، إن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء"([3]). ويقول كمال الدين بن الهمام: "ومن السمعيات الكوثر، وهو حوض الرسـول ﷺ يكون له يوم القيامة يرده الأخيار، ويذاد عنه الأشرار. وردت بـه الأخبار الصحاح فوجب قبولـه والإيمـان بـه"([4]). وحـول ورود الأحاديث الصحيحة عن الحوض فإن ابن حجر ينقل عن القرطبـي قوله: "مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبينا محمدﷺ بالحوض المصرح بـصفته واسـمه وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحـصل بمجموعهـا العلم القطعي، إذ روى ذلك عن النبيﷺ من الصحابة نيـف علـى الثلاثين منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهمـا بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت رواته، ثم رواه عـن الـصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلـم جرا وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف([5])".

([1]) الفضة .

([2]) رواه الإمام مسلم ٢/٢١٧ .

([3]) فتح الباري ١١/٣٩٩ .

([4]) المسايرة في علم الكلام ص١٥٠ .

([5]) فتح الباري ١١/٣٩٣ .

وقد اختلف العلماء حول الحوض، هل هو قبل الصراط أو بعده؟ فيروى القرطبي في التذكرة أن الحوض قبل الصراط والميزان. وذهب آخرون إلى أنه بعد الصراط والميزان. وحجة القرطبي أن كون الحوض قبل الصراط مما يقتضيه الموقف يوم القيامة؛ لأن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم([1]) .

وذهب القاضي عياض إلى أن الحوض بعد الصراط؛ لأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار؛ لأن ظاهر حال من لا يظمأ ألا يعذب بالنار([2]). وأميل إلى أن الحوض بعد الصراط لما رواه الإمام أحمد والترمذي عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي. فقال: أنا فاعل، فقلت: أين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: أنا عند الميزان؟ قلت: فإن لم ألقك؟ قال أنا عند الحوض([3]) فهذا الترتيب من النبيﷺ هو الذي نميل إليه؛ لأنه مادام أن الذي يشرب منه لا يظمأ أبدا فلابد وأن يكون من المؤمنين الناجين من النار .

([1]) التذكرة ٣٦٢/٢ .
([2]) فتح الباري ٣٩٢/١١ ، ٣٩٣ .
([3]) فتح الباري ٣٩٢/١١ .

المبحث الثاني عشر: الشفاعة

عرف البيجوري الشفاعة بأنها الوسيلة والطلب[1]، وفي العرف بأنها سؤال الخير من الغير للغير[2]. ويدل على ثبوتها كما يقول صاحب المقاصد: النص والإجماع[3].والدليل عليه قوله تعالى {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}[4] وقوله عز وجل {وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى}[5] وقوله تعالى {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى}[6] يقول ابن كثير: وهذا من عظمته وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة[7].

ويقول تعالى {يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً}[8] ويستدل ابن حزم بهذه الآية بأن الله تعالى نص على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له الرحمن فيها ورضي له قولاً. ويقرر أنه لا أحد أولى بذلك من محمدﷺ لأنه أفضل ولد آدم عليه السلام[9] .

وقد وردت الأحاديث التي تبين شفاعة الرسولﷺ في عصاة المؤمنين، وأجمع المسلمون على تلك الشفاعة[10] لرسول اللهﷺ يوم

---

(1) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص٢٣٦ .

(2) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص٢٣٦ .

(3) شرح المقاصد ١٧٥/٢ .

(4) البقرة : ٢٥٥ .

(5) النجم: ٢٦ .

(6) الأنبياء: ٢٨ .

(7) تفسير ابن كثير ٢١٩/١ .

(8) طه: ١٠٩ .

(9) الفصل لابن حزم ٥٣/٤ .

(10) الإبانة للأشعري ص٧٤ .

القيامة. ومن الأحاديث التي وردت في الشفاعة ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: أتى رسول الله ﷺ يوما بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة فقال: "أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم فيأتون آدم. فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيمﷺ. فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب

قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته([1]) نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى فيأتون موسىﷺ فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسىﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسىﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله – ولم يذكر له ذنبا– نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم قال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي. فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب

([1]) الكذبات الثلاثة التي وردت في الأحاديث من أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث مرات، اثنان في ذات الله قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة في شأن سارة حين قدم مصر وقال للملكها إنها أختي وليست زوجتي، وهذه الكذبات تحدث عنها العلماء كثيراً وخلاصة ما قيل فيها أن تلك الأحاديث إن كانت منقولة بطريق الآحاد فمردودة، لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهرة إن أمكن وإلا فمحمول على ترك الأولى أو كونه قبل البعثة. انظر: قصص الأنبياء للنجار صـ١٠٩ – ١٢٣ .

عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى"([1]) .وحديث أبي هريرة السابق يدل على أن هناك نوعان من أنواع الشفاعة:

النوع الأول: الشفاعة من هول الموقف .

والنوع الثاني : إدخال قوم الجنة بغير حساب .

وهناك أنواع أخرى من الشفاعة يشترك فيها الأنبياء والملائكة وعباد الله الصالحين، فقد روى الإمام مسلم بسنده في حديث طويل عن الشفاعة المؤمنين للعصاة يوم القيامة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم. فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به. فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه

([1]) صحيح مسلم ١/١٠٣ ، ١٠٤ .

مثقال ذرة من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرا". وكان أبو سعيد الخدري يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما}([1]) فيقول الله عز وجل: "شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل"([2]) .

وهناك أحاديث أخرى تبين شفاعة المؤمنين للعصاة يوم القيامة .

روى الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: "إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع لعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلون الجنة"([3]) .

([1]) النساء : ٤٠.

([2]) صحيح مسلم ٩٤/١ .

([3]) تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي ١٣١/٧ ، ١٣٢ .

المبحث الثالث عشر: الجنة

نتحدث عن الجنة كواقعة من واقعات يوم القيامة والنعيم الذي يلاقيه المؤمنون فيها. والحديث عن الجنة يشمل عدة حقائق عن الجنة منها:

أنها مخلوقة ومعدة للمؤمنين :

يقول الله تعالى {وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين}([1]) ويقول الله عز وجل {سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}([2]) وهاتان الآيتان وغيرهما في القرآن كثير يدلان على أن الجنة مخلوقة الآن وأنها معدة للمؤمنين وأيضاً على سعة الجنة. والمراد من أن عرضها كعرض السماء والأرض أنها كناية عن السعة، إذ لو جعلت السماوات والأرضون طبقاً بحيث يكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحاً مؤلفاً من أجزاء، ثم وصل بعضها ببعض طبقاً واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهي غاية في السعة وخص العرض بالذكر دون الطول لأنه إذا كان العرض على تلك السعة فالظاهر أن الطول يكون أعظم ونظير هذا قوله تعالى {بطائنها من استبرق} فإذا كانت البطائن من استبرق وهى عادة أقل من الظهارة فكيف يكون الظهارة! قال القفال: ليس المراد بالعرض هاهنا ما هو خلاف الطول ولكن عبارة

([1]) آل عمران ١٣٣ .

([2]) الحديد ٢١ .

عن السعة كما تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة عظيمة، والأصل فيها أن ما اتسع عرضه لم يضق وما ضاق عرضه دق.

عدد الجنة ودرجاتها:

الجنة البستان ومنه الجنات. والجنة: اسم لدار الخلد وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة حسب استحقاق العاملين لكل طبقة منها جنات من تلك الجنان([1]) .

وعدد الجنات التي يتمتع فيها المؤمنون أربع، وهذا العدد الذي ورد في القرآن الكريم ونطقت به السنة. يقول الله عز وجل في سورة الرحمن([2]) {ولمن خاف مقام ربه جنتان} وعدد الله صفات هاتين الجنتين فذكر أنهما {ذواتا أفنان* فيهما عينان تجريان* فيهما من كل فاكهة زوجان} وذكر أن المؤمنين فيها {متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان} وذكر الله عز وجل أن {فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان}، وبعد أن ذكر الله هاتين الجنتين وعدد صفاتهما قال الله تعالى {ومن دونهما جنتان} وعد أوصافهما بقوله تعالى {مدهامتنا} وقال {فيهما عينان نضاختان} وقال {فيهما فاكهة ونخل ورمان} وقال {فيهن خيرات حسان} وقال {حور مقصروات في الخيام} وقال {لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان} وقال {متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان} والجنتان الأوليان تختلفان عن الأخريين، إذ أن الله عز وجل قال

([1]) الكشاف للزمخشرى ٢٥٧/١.

([2]) الرحمن ٤٦-٧٦ .

عن الأوليين {ومن دونهما} ودون تستخدم في اللغة العربية نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية([1]) .

وصف الجنة :

أما سعتها عرض السموات والأرض ولا تعجبوا من هذا فإن الآخرة بالنسبة لهذه الدنيا، كهذه الدنيا بالنسبة لبطن الأم، أما يرى الجنين بطن أمه دنياه كلها، أو ليست دار واحدة من دور الدنيا، أوسع من دنيا الجنين بآلاف المرات ؟

هذه الجنة أعدت للمتقين، ومن هم المتقون الذين أعدت لهم وماذا كانوا يصنعون؟ لعلنا نصنع مثلهم فنكون معهم، لقد بين الله أن المتقين هم :

{الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس . . . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم} هذه بعض صفات المتقين، فمن اتصف بها بعد تصحيح العقيدة، وصدق التوحيد، أدخله الله بكرمه ومنه، هذه الجنة التي أعدها الله لهم .

والجنة درجات: ففيها جنة النعيم وهي أبعد من أن ينالها كل واحد {أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم}. وهي للسابقين {أولئك المقربون في جنات النعيم} .

وفيها جنة التي سماها الله الغرفة، ووعد الله بها عباد الله الرحمن الذين وصفهم في سورة الفرقان بأنهم الذين يجمعون صحة الاعتقاد، واستقامة السلوك، وكثرة العبادة، وعلو الأخلاق، فدل ذلك

([1]) مختار الصحاح ٢١٦ .

على أن الغرفة درجة عالية في الجنة وخص بهـا هـؤلاء الـذين جمعوا صفات الكمال، وصبروا على مشقة القيـام بهـا، وصـرف النفس عن رغباتها في التملص منها.

وبين ربنا أن الجنة {جنات معروشات وغير معروشات}.

وأن فيها مكانا اسمه جنة المأوى، ومكاناً اسمه جنات عدن ، ولمن خاف مقام ربه جنتان لا جنة واحـدة، وأن فيهـا مـا دعـاه بعليين؛ دل ذلك على أن نعيمها درجات وأهلها منازل .

أهل الجنة وأحوالهم :

يجتمع أهل الجنة بإخوانهم وأهلـيهم {ادخلـوا الجنـة أنـتم وأزواجكم تحبرون} ، و{هم وأزواجهم في ظـلال علـى الأرائـك متكئون} ، {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم}. يجتمعون على ود وصفاء {ونزعنا ما في صدورهم من غل} .

وتصف لهم الأسرة والأرائك فتكون مجالسهم عليها: {متكئين على سرر مصفوفة} يقعدون عليها {إخوانا على سـرر متقـابلين} عليها فرش بطائنها من شيء نفـيس، سـماها ربنـا الاسـتبرق ، وحولهم جنتان ملتفتان، ثمارهما قريبة من أيدهم دانية منهم .

يخدمهم فيها خدم صغار: {غلمان لهم كأنهم لؤلـؤ مكنـون} {يدعون فيها بكل فاكهة آمنين} يطاف علـيهم بكـأس مـن معـين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون} .

والطعام يطاف عليهم بصحاف من ذهب، أما شرابهم فيحمل إليهم {بأكواب وأباريق وكأس من معين} .

يقصدون من أركان الجنة حيـث شـاؤوا يتقـابلون فيهـا ويتحدثون {تحيتهم فيها سلام}([1]) .

([1]) مشاهد القيامة في القرآن ص ٧٠ وما بعدها ط دار المعارف .

المبحث الرابع عشر: النار

المتبادر إلى الذهن أن جهنم نار كالنار التي نعرفها في الدنيا، لكنها أشد منها، حتى أنها لا تقاس من شدتها بها، وأن ماثلتها في نوعها، ولكن الذي يبدو لمن ينعم النظر في وصف القرآن لها أنها من نوع آخر؛ إذ لو كانت ناراً من نوع نار الدنيا، لأحرقت كل شيء فتركته فحماً. مع أن جهنم فيها شجر، وفيها ماء، وفيها ظل، وإن كان ظلها وماؤها وشجرها للتعذيب لا للنعيم. ونار الدنيا تحرق من يدخل فيها فيموت يستريح من ألمها، وجهنم-نعوذ بالله منها- ألم دائم لأهلها {لا يقضى عليهم فيموتون ولا يخفف عنهم من عذابها} .

ولا تحرق الجلود فتذهبها، ولكن تنضجها {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب}، وأهلها يعيشون ويفكرون ويتذكرون ويختصمون، وفي جهنم شجرة الزقوم التي {تخرج من أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين} .

وفي جهنم طعام وأهلها يأكلون، ولكنهم آكلون من ثمر هذه الشجرة الخبيثة {فمالئون منها البطون} {إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم} .وفي جهنم شراب، فيها ماء، ولكنه ماء صديد يسقى منه الكافر فهو {يتجرعه ولا يكاد يسيغه} .

دخول النار :

إذا انتهى الحساب وحقت كلم العذاب على الكافرين، يساقون إلى جهنم زمراً. فتغتاظ جهنم نفسها من كفرهم وإصرارهم

وإعراضهم عن رسل الله. وخزنة جهنم لا ينقضي عجبهم من حماقتهم وعنادهم فهم يعودون إلى سؤالهم {تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير} فلم يسعهم إلا الاعتراف {قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء} فقالت لهم الملائكة {إن أنتم إلا في ضلال كبير} . فأقروا بأنهم كانوا صماً لا يسمعون، وكانوا قد عطلوا عقولهم فلا يفكرون، وأنهم لو كانوا سمعوا المواعظ، وفكروا في أنفسهم وفي الكون من حولهم لاستدلوا بذلك على الله فآمنوا به واتبعوا رسله، وما وصلوا إلى جهنم . {وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب الجحيم فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير} .

جهنم سجن :

{لها سبعة أبواب} يوزع أهلها عليهم. {لكل باب منهم جزء مقسوم} وهي مغلقة بمزاليج ضخمة كأنها الأعمدة {إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة} وهم يلقون فيها من مكان ضيق {مقرنين} مربوطا بعضهم ببعض وقد أعد الله لهم {سلاسل وأغلالاً وسعيراً}.

محاولات للخروج :

عمر الله الإنسان فى الدنيا دهرا، وأعطاه الله فيها عقلا يختار به ما يريد، وإرادة ينفذ بها ما يختار، فاختار بعض الناس سلوك طريق جهنم، وعملوا ما يوصلهم إليها، فلما بلغوها، راحوا يحاولون الخروج منها، ويعدون أنهم إن أعيدوا إلى الدنيا آمنوا وأصلحوا، الصالحات يحسبون الأمر كامتحانات الدنيا، فمن رسب فى دورة استدرك النجاح في أخرى، لا يدرون أنه من خرج من

الدنيا لا يعود إليها، ومن دخل النار لا يخرج منها، فحق عليهم قول الله عز وجل {لقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل} {وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل} {وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل} فيكون الجواب الحاسم {أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير} .

حوار بين أهل الجنة وأهل النار :

سبق ما يشير إلى أن أهل الجنة يستطيعون أن يطلعوا على أهل النار، وفي القرآن أن هؤلاء يتنادون ويتحدثون {ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين* ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا}([1]) .

([1]) حقائق البعث والنشور تحقيق عبد القادر عطا ص ١٦٠ .

المبحث الخامس عشر: رؤية الله

إن أعظم درجات النعيم في الآخرة يتمثل في رؤية المؤمنين لربهم عز وجل. وقد ثبتت رؤية الله عز وجل في القــرآن والــسنة والإجماع ونتحدث عن الرؤية في القرآن الكريم والــسنة النبويــة الشريفة.

يقول الله تعالى {وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها نــاظرة}([1])

يقول ابن كثير {وجوه يومئذ ناضرة} من النضارة أي حسنة بهيــة مشرقة مسرورة {إلى ربها ناظرة}أي تراه عيانا كما روى البخاري في صحيحه "أنكم سترون ربكم عيانا" وقد ثبتت رؤية المــؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديــث الــصحاح مــن طــرق متواترة عن أئمة الحديث ولا يمكن دفعها ولا منعها([2]) .

يقول ابن حزم رؤية الله عز وجــل يــوم القيامــة كرامــة للمؤمنين لا حرمنا الله ذلك بفضله([3]) .

ويدلل الإمام البيجوري على وقوع الرؤية بقوله: "فالرؤيــة جائزة عقلا دنيا وأخرى، لأن الباري سبحانه وتعالى موجود وكــل موجود يصح أن يرى، فالباري عز وجل يصح أن يرى"([4]) .

ويحكم بوجوبها شرعاً في الآخرة بقوله: وواجبة شرعا فــي الآخرة كما أطبق عليه أهل السنة بالكتاب والسنة والإجماع([5]) .

([1]) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

([2]) ابن كثير ٤/٤٥٠ .

([3]) الفصل لابن حزم ٣/٣ .

([4]) البيجوري على الجوهرة ص١٣٩ .

([5]) البيجوري على الجوهرة ص١٣٩ .

وابن القيم الجوزية في كتابه "حـادي الأرواح إلـى بـلاد الأفراح" ينقل الإجماع على رؤية الله تعالى بقولـه: اتفـق عليهـا الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام علـى تتابع القرون([1]).

ويستدل ابن القيم بأدلة كثيرة من القرآن الكريم على وقـوع الرؤية في الآخرة للمؤمنين([2]) ومما يستدل به قول الله عـز وجـل {لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد} قال الطبراني: قال علي بن أبـي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل، وقاله مـن التابعين زيد بن وهب وغيره([3]) .

ومما يستدل به على وقوع الرؤية في الآخرة مـن القـرآن الكريم قول الله تعالى {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} .

الرؤية من السنة :

روى الإمام مسلم بسنده عن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول اللهﷺ "هل تضارون من رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسـول الله. قال: هل تضارون من رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه كـذلك"([4]) .ونكتفـي بمـا رواه الإمام مسلم لكثرة الأحاديث الدالة على رؤية الله فى الآخرة يقـول ابن القيم: "وأما الأحاديث عن النبيﷺ وأصحابه الدالة على الرؤيـة

([1]) حادي الأرواح ص١٩٦ لابن قيم الجوزية – الناشر مكتبة المتنبي القاهرة .

([2])انظر: حادي الأرواح من ص١٩٧ – ٢٠٤ .

([3])انظر: حادي الأرواح من ص٢٠١ .

([4]) رواه الإمام مسلم ٩١/١ طبعة عيسى البابي الحلبي ، ورواه الإمام أحمد ، وانظر: ابن كثير ٤١٤/٢ .

فمتواترة ([1])وإذا اكتفينا بهذا القدر من الاستدلال بالكتاب والسنة على وقوع الرؤية فإننا نجد أن رؤية الله في الآخرة قد احتلت مكانا بارزا في الفكر الإسلامي.

يقول الإمام المحاسبي عن فرحة المؤمنين برؤية ربهم في الآخرة: "فتوهم بعقلك نور وجوههم، وما يداخلهم من السرور والفرح حين عاينوا مليكهم، وسمعوا كلام حبيبهم وأنيس قلوبهم وقرة أعينهم ورضا أفئدتهم وسكن أنفسهم، فرفعوا رؤوسهم من سجودهم، فنظروا إلى ما لا يشبه شيء بأبصارهم، فبلغوا ذلك غاية الكرامة ومنتهى الرضا والرفعة، فما ظنك بنظرهم إلى العزيز الجليل الذي لا تقع عليه الأوهام ولا تحيط به الأذهان ولا تكفيه الفكر ولا تحده الفطن" ([2]) .

كيفية الرؤية :

يقول الإمام البيجوري شارح كتاب جوهرة التوحيد: قوله" بالأبصار" ظاهره أن الرؤية بالحدق فقط وهو أحد أقوال ثلاثة :

ثانيها: أنها بجميع الوجوه لظاهر قوله تعالى {وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة}([3]) .

ثالثها: أنها بكل جزء من أجزاء البدن([4]) .

ومن أعظم ما قيل في الرؤية في الآخرة ما ذكره الإمام الغزالي بقوله: "إن قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في

([1]) حادى الأرواح ص ٢٠٥ ، وابن كثير ٤/٤٥٠.

([2]) التوهم ص ٤٨ .

([3]) القيامة ٢٢ –٢٣ .

([4]) البيجوري على الجوهرة ص١٤٠ .

الآخرة فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك، وأهل البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ، ومن يشته رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيتة تخلق في عينه أو في جبهته، بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو بغيرها، فإن العين محل وظرف فلا نظر إليه ولا حكم له والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة، فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين، هذا في حكم الجواز، فأما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع، والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرياً على ظاهره"([1]) .

([1]) المحبة والشوق والانس والرضا ص٤٥ للإمام الغزالي – الطبعة الأولى ١٩٦١ طبعة البابي الحلبي .

المبحث السادس عشر: الاستدلال على يوم القيامة

لقد أقام القرآن الكريم والسنة النبوية منهجا متكاملا في الاستدلال على اليوم الآخر وما يقع فيه، وخاطب الله عز وجل الإنسان بكل الحجج والبراهين العقلية والمنطقية والعملية، وعرض شبه المنكرين فندها ورد عليها، وأثبت اليوم الآخر بما لا يدع مجالا للشك أو الاعتراض أو الملاحظة التي تلفت النظر عند من يتدبر القرآن الكريم في الاستدلال على البعث أن الله عز وجل لم يناقش قضية البعث من جهة واحدة وإنما جاء إليها من جميع الجهات، فلم يخاطب عقول الفلاسفة وحدهم ولا العلماء ولا العامة وحدهم وإنما خاطب هؤلاء جميعاً، وقدم لهم الحجة الدامغة والدليل المفحم والشاهد المبين .

أولا: أدلة الإمكان :

تعرض القرآن الكريم لإثبات البعث بالأدلة العقلية التي تلزم العقل السوى بالتصديق والإذعان. والقرآن الكريم حين يعرض تلك الأدلة يبين أنها ممكنة وأننا نشاهدها كل وقت، وأوضح مثال على ذلك خلق الإنسان وما فيه من دلالات واضحة على قدرة الله وأيضاً الأرض الميتة حين ينزل عليها الماء يقول الله تعالى {يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت

وربت وأنبتت من كل زوج بهيج* ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير* وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور}([1]) .

قياس البعث من الموت على خروج الزرع من الأرض :

يقول الله تعالى {الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور}([2]) وهذه الآية فيها دلالة على البعث بعد الموت، وفي الحياة الآخرة من عدة وجوه ذكرها الرازي في تفسيره

أحدهما: أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة.

وثانيها: أن الريح يجمع القطع السحابية، كذلك يجمع بين أجزاء الأعضاء وأبعاض الأشياء .

ثالثها: كما أنا نسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت، نسوق الريح والروح والحياة إلى البدن الميت([3]) .

إثبات النشأة الآخرة بالقياس على النشأة الأولى :

يقول الله تعالى : {وإنه خلق الزوجين الذكر والأنثى* من نطفة إذا تمنى* وأن عليه النشأة الأخرى}([4]) .

([1]) الحج ٥ –٧ .

([2]) فاطر ٩ .

([3]) التفسير الكبير للرازي ٧/٢٦ .

([4]) النجم ٤٤ – ٤٧ .

وفي معرض قياس النشأة الثانية على النشأة الأولى يقول تعالى {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم}([1]) .

إثبات البعث بالقدرة على من هو أعظم منه:

يقول الله تعالى {أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً}([2]) .

وهذه الآية تلفت النظر إلى قدرة الله عز وجل على خلق السماوات والأرض، وأنه لم يعي بخلقهن. ومعلوم خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الإنسان ولذلك فإن إعادة الإنسان مرة أخرى أهون من خلق السماوات والأرض. يقول القاضي عبد الجبار: إن القادر إذا ثبت كونه قادرا على الشيء من غير تخصيص بوقت، فمتى صح وجود المقدور صح منه إعادته([3])

إثبات البعث بقياس الموت على النوم :

إن النوم كالموت والاستيقاظ من النوم كالبعث من الموت يقول الله تعالى {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويمسك الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}([4]) .

([1]) الروم ٢٧ .

([2]) الإسراء ٩٩ .

([3]) المغني للقاضي عبد الجبار ٤١٥/١١ .

([4]) الزمر ٤٢ .

ويقول ﷺ: "والله الذي لا إله إلا هو أني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا، وإنكم لأول من أنذر"(١) .

ثانياً : أدلة الوقوع :

يعرض القرآن الكريم لبعض النماذج التي تشبه وقوع البعث وإحياء الناس للحساب والجزاء .

الواقعة الأولى :

قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فتعجب من كيفية إحيائها بعد مماتها وخرابها، فأماته الله ثم بعثه. وهذه الحادثة مثال لما سيحدث يوم القيامة .يقول الله تعالى {أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير}(٢) .

وهذه الوقعة دليل على البعث والقيامة الكبرى التي يقوم فيها الناس لرب العالمين .

---

(١) سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤٣٢/٣ ، تأليف الإمام محمد اليوسف الصالحي – تحقيق د / مصطفى عبد الواحد.

(٢) البقرة ٢٥٩ .

الواقعة الثانية:

قصة أهل الكهف. وهي واقعة حدثت لأناس لبثوا في كهفهم مدة طويلة نياماً ثم بعثهم الله بعد نومهم الطويل، وقد عقب الله عز وجل على بعثهم بعد نومهم الطويل الذي ظل ثلث مائة سنين وازدادوا تسعاً. عقب الله بقوله {وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها}([1]) .

يقول الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: "يعمي إنما أطلعنا القوم على أحوالهم ليعلم القوم أن وعد الله حق بالبعث والحشر والنشر. روى أن ملك ذلك الوقت كان ممن ينكر البعث إلا أنه كان مع كفره منصفاً، فجعل الله أمر الفتية دليلاً للملك. وقيل: بل اختلفت الأمة في ذلك الزمان، فقال بعضهم: الجسد والروح يبعثان جميعاً. وقال آخرون الروح تبعث، وأما الجسد فتأكله الأرض. ثم إن ذلك الملك كان يتضرع إلى الله أن يظهر له آية يستدل بها على ما هو الحق في هذه المسألة، فأطلعه الله على أمر أصحاب الكهف، فاستدل ذلك الملك بواقعتهم على صحة البعث للأجساد؛ لأن انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث"([2]) .

الواقعة الثالثة :

([1]) الكهف: ٢١ .

([2]) التفسير الكبير للفخر الرازي صـ١٠٥ المجلد ٢١ – ٢٢ .

بنو إسرائيل الذين طلبوا من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة فصعقوا، ثم بعثهم الله بعد موتهم وهذا دليل علـــى إحيـــاء الله للموتى وبعثهم من قبورهم، كما بعـــث الله أولئـــك الـــذين أخـــذتهم الصاعقة .

يقول الله تعالى {وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نـــرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم مـــن بعـــد موتكم لعلكم تشكرون}([1]) .

الواقعة الرابعة :

جماعة بني إسرائيل، طلب منهم ملكهم ان يجاهدوا في سبيل الله،فهربوا حذراً من الموت، فأماتهم الله موتة واحدة ثم بعثهم بعـــد موتهم وتفضلاً منه، وفيهم ورد قوله تعالى {ألم ترى إلـــى الـــذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون}.

([1]) البقرة: ٥٥ ، ٥٦ .

مراجع البحث

١- القرآن الكريم .
٢- صحيح البخاري – مكتبة زهران – القاهرة .
٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل – دار الفكر العربي – القاهرة .
٤- صحيح مسلم – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي .
٥- درء تعارض العقل مع النقل – تحقيق رشاد سالم – دار الكتب القاهرة – ١٩٧١ .
٦- مشاهد القيامة في القرآن – دار المعارف الطبعة السادسة ١٩٨٠ .
٧- اليوم الآخر والحياة المعاصرة – دار الفكر العربي ١٩٧٨ عبد الكريم الخطيب .
٨- حقائق البعث والنشور – تحقيق عبد القادر عطا – دار التراث العربي – الطبعة الأولى ١٩٨٤ (الأصفهاني: أبو الثناء شمس الدين الأصفهاني) .
٩- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد تحقيق د. مصطفى عبد الواحد – الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٤ .
١٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل – الناشر مكتبة السلام العالمية – الشيخ صديق حسن خان .